فكيف أجرى المبرد تطبيقه؟

يقول: «فمما اتفق لفظه واختلف معناه، قوله تعالى ﴿إلاّ أمـانيّ وإن هم إلاّ يظنون﴾[1] هذا لمن شك، ثم قال: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾[2] فهذا يقين، لأنهم لو لم يكونوا مستيقنين، لكانوا ضلالاً شكاكًا في توحيد الله تعالى، ومثله في اليقين قول المؤمن ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾[3] أي أيقنت». ويقول المبرد في قوله تعالى «﴿إن نظن إلاّ ظنا﴾[4] فهو من الشك».

فالمبرد إذن قد تناول الألفاظ القرآنية، وذكر معانيها، محتجا بأقوال النحويين ومستشهدًا بأبيات الشعر ـ أي بالاستعمال العربي ـ على المعنى والقاعدة.

وللثعالبي (ت٤٢٩هـ) [5] كتاب عنوانه «الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها» [6].

ويشي اسمه بالجمع بين المنهجين اللغوي والقرآني في تناول الموضوع، وصنيع مؤلفه يشبه صنيع ابن الجوزي (ت ٦٥٦هـ) في كتابه، في عناية واضحة بالاستعمال اللغوي وبالعلاقات بين المعاني المختلفة للفظ، الناشئ اختلافها عن اختلاف سياقات الاستعمال وهو مقسم في أبواب على حروف المعجم؛ أي في ثمانية وعشرين بابًا ضمت نحو مائة وخمسين لفظًا من ألفاظ الوجوه. ويجد قارئه مشابهة كبيرة بينه وبين كتاب ابن الجوزي سواء من حيث الترتيب أو الوجوه المذكورة ويبدو أن ابن الجوزي قد أفاد منه كثيرًا إذ تتكرر بعض العبارات بلفظها خالية من نقد ابن الجوزي وتعليقه عليها الذي أضافه في كتابه؛ ما يوحي بأن كتاب الثعالبي مؤثر في التوجه اللغوي عند ابن الجوزي.

أما بعد ذلك فقد استمر جمع الوجوه والنظائر على أيدي علماء التفسير على ما رأينا في الصفحات السابقة.

---

(١) البقرة: ٧٨. (٢) البقرة: ٤٦.

(٣) الحاقة: ٢٠. (٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) هو أبو منصور عبد الملك بن محمّد الثعالبي، من أئمة اللغة والأدب من أهل نيسابور، اشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ، ومن مؤلفاته: يتيمة الدهر، في التراجم، وفقه اللغة، وسحر البلاغة، والمقصور والممدود، والمتشابه، وكثير من كتبه مطبوع، توفي عام ٤٢٩هـ، وانظر ترجمته في الأعلام، ج٤، ص١٦٤.

(٦) الثعالبي: عبد الملك بن محمد، الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها، تحقيق: محمد المصري، ط ١، سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٤م.